في دراسة عن أهمية الدّعاء:

يزيد الدعاء من إيمان الداعي ويقوي يقينُه، ويرفع البلاء ويدفع الشقاء

نظام الدّين إبراهيم اوغلو
محاضر في جامعة هيتيت . تركيا

مقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد .

فهذه رسالة مختصرة في الدعاء وفضله وأهميّته وثبوته في القرآن والسّنة، فأسأل الله تعالى أن ينتفع بها وأن يكتبها في موازين أعمالنا إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

تعريف الدّعاء:

الدّعاء لغةً: مصدر دعوت وهو مذكر، بمعنى النّداء، الطّلب.، إصطلاحاً : طلب الأدنى للفعل من الأعلى: وهو الكلام الإنشائي الدّال على الطّلب مع الخضوع والاستكانة، ويسمى أيضاً سؤالاً . ودعاء العبد ربه جلّ جلاله: طلب العناية منه، واستمداده إياه المعونة. ويقال : دعوتُ الله أدعوهُ دعاءً : ابتهلتُ إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير . سؤال العبد ربه على وجه الابتهال، وقد يطلق على التقديس والتحميد . وكذلك دعاءُ الله وسؤاله والتضرعُ إليه والانطراح بين يديه وتفويض الأمر إليه أمانُ الخائفين وملجَأ المضطرّين وسلوة المناجين ونحوهما.

حقيقةُ الدّعاء وفضله :

١. فهو عبادة بالدّرجة الأولى: فقال (ص) (الدّعاء هو العبادة) رواه أحمد والتّرمذي وإبن ماجة وأبو داود وقال (الدّعاء مخ العبادة) رواه الترمذي، وقال أيضاً (ليسَ شيءٌ أكرَم على الله من الدّعاء) رواه الترمذيّ وابن ماجه والحاكم. وقال تعالى (إنّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم) وغيرها من الآيات. وأن يتضمّن إفتقارَ العبد وتضرّعه وشدّةَ اضطراره إلى ربّه فقط. وهذه المعاني العظيمةُ هي حقيقةُ الدّعاء والعبادة.

٢. وهو إستغاثة لكشف السّوء: كما قال تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغيرَ الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) . وقال أيضاً (أمّن يُجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشفُ السّوءَ) ، (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضتُ فهو يشفين) .

٣. الطّلب والسّؤال وتعظيمُ الرّغبة إلى الله: ويتم بالسّؤال عن قضاء الحاجات الدنيويّة والأخرويّة، وكشف الكربات ودفع الشرور والمكروهات الدنيويّة والأخرويّة، فقال تعالى (وقال أدعوني أستجب لكم) ، ويكون بمأثور من الأدعية الموجودة في القرآن والأحاديث أو بالأسماء الحسنى ونحو ذلك.

٤. لأجل أن يكون المؤمن متّصلاً بربّه ومع من أحبّ دوماً، لذا تصلح الدّعاء في كلّ زمان ومكان وحال، فقال تعالى (وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعانِ) .

اهمية الدّعاء وآثاره:

بالإضافة إلى أنّه عبادة فله أثر بالغ وفائدة عظيمة على الإنسان، فالدّعاء أكرمُ شيءٍ عند الله، وهو طريقٌ إلى الصّبر في سبيل الله، وصدقٌ في اللّجَأ وتفويض الأمر إليه والتوكّل عليه، وبعدٌ عن العجز والكسل، وتنعُّمٌ بلذّة المناجاة، فيزدادُ إيمانُ الداعي ويقوى يقينُه، ورافع للبلاء ودافعٌ للشقاء . فكم من بليّة ومحنة رفعها الله بالدّعاء، ومصيبة كشفَها الله بالدّعاء، وكم من ذنب ومعصية غفرَها الله بالدّعاء، وكم من رحمة ونعمة ظاهرة وباطنة استُجلبت بسبَب الدعاء، وأعلمَ أنّ من القضاءِ ردّ البلاء بالدّعاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ص): (لا يُغني حذَر من قدَر، والدعاءُ ينفَع ممّا نزل وممّا لم ينزل، وإنّ البلاء لينزل فيلقاه الدّعاء، فيعتلجَان إلى يوم القيامة) رواه الحاكم والطبرانيّ بسند حسَن.. والدعاء قربةُ الأنبياء، (إنّهم كانُوا يسَارعونَ في الخَيراتِ وَيدعونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وكَانوا لنا خَاشعين) ، لا يهلك مع الدّعاء أحد، ولا يخيب من لله رجا وقصَد، عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم إلا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاث: إمّا أن يعجّل له دعوتَه، وإمّا أنْ يدّخر له،

وإمّا أن يكشف عنه من السوء بمثلَها)، قالوا: إذا نُكثر؟! قال: :»اللهُ أكثر» رواه الإمام أحمد في المسند والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلّم (أنّ الله حييٌّ كريم ، يستحي من عبده أن يبسط إليه يديه ثمّ يردّهما خائبتين) رواه الحاكم. والدّعاءُ سببٌ عظيم للفوز بالخيرات والبركات، وسببٌ لدفع المكروهات والشرّ والكربات، والدّعاءُ من القدَر والأسباب النّافعة الجالبة لكلّ خَير والدّافعة لكلّ شرّ، وقد أمَر الله في آياتٍ كثيرة عبادَه بالدّعاء له، والدّعاءُ تتحقّق به عبادةُ ربّ العالمين؛ لأنّه يتضمّن تعلّقَ القلب بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات إلى غَير الله عزّ وجلّ في جلب النّفع ودفع الضرّ، ويتضمّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ اللهَ قدير لا يُعجزه شيء، عليمٌ لا يخفى عليه شيء، رحمَن رحيم، حيّ قيّوم، جوّاد كريم، محسن ذو المعروف أبدًا، لا يُحَدُّ جودُه وكرمُه، لاينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفد خزائن بركاته. فلأجل هذه الصفات العظيمة ونحوها يُرجى سبحانه ويُدعَى، ويسأله من في السّموات والأرض حاجاتِهم باختلاف لغاتهم.

الدّعاء ثابتٌ بالمأثور والواقع ولايُمكن إنكاره: حُكم الدّعاء في الفقه الإسلامي مستحبٌ، وقد يكون واجباً كالدّعاء الذي تضمنتهُ سورة الفاتحة أثناء الصّلاة، وكالدّعاء الوارد في الجنازة وفي خطبة الجمعة . فللدعاء قوّة عظيمةٌ وتاثيرٌ فعّال لا يتصوّره ولا يعرفهُ إلاّ المؤمن الصّحيح، قد تتأخر أو لا تتحقق الإستجابة فهذا لايعني عدم القبول أوعدم فائدتها للناس، وهناك من يستهزئُ بالدّعاء من الكافرين والطّاغين والمنافقين، فعند ظلمهم للناس، يُنادون المظلون إستهزاءاً أين ربّك؟ ولو كان لك ربٌ لنجاك من ضيقك! ولا يدرون قبول الدّعاء وخاصّة دعاء المظلوم فعندما يحلّ لهم غضبَ الله لهم يخرصون ويخسؤن إلى يوم القيامة، فنجد أحداث كثيرة في التّاريخ وفي حياتنا اليومية تأثير وفوائد الدّعاء في كافة أحوالها، ويُمكن مشاهدة ذلك من أدعية الأنبياء والصّالحين ومن أدعية النّاس الذين نعرفهم. وحتى إذا لم تتحقّق الدّعاء فتكون مكافاة لهم عند الصّبر ألا وهي الجنّة، كما تحقّقت للبنت التي كانت لها مرض الصّرع ولآل ياسر فصبروا فأصبح موعدهم الجنّة، وقد يكون عكس ذلك فنرى أنّه جاء إلى النّبي (ص) أعرابي يطلب منه الغنى فيدعو له الرسّول ويبارك الله في أغنامه ولكنّه لايؤدي وجباته الدينيّة فيدخل النّار، ونرى دعاء المسلمين على الظّالمين فيكون مصير النّار أيضاً كنمرود وفرعون غيرهم ودعاء الصّالحين لقوم عاد وثمود فأذاهم وأهلكهم بالإضافة إلى دخولهم النّار، موتهم ينتهي دائماً بالذّل والخزي والخُسران، وبالرّغم من إنكار هؤلاء الظّالمين الدّعاء فيدعون الله عند الإضطرار، وهذا شيء عجيب، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على ضعف هؤلاء أمام القاهر الجبّار (حتى إذا أدركهُ الغرق قال أمنت أنّه لا إله إلاّ الذي أمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) ، وعلى المؤمن أن لايترك عبادة الدّعاء أبداً وأن لا ييئس على قبوله أو يدّعي أنّها ليست من الدّين لأنّ هذا ظلمٌ كبيرٌ على الله وإنّه لا يغفرهم أبداً ويبقوا مع الخالدين في النّار، فعلينا الإيمان بها سواء تحقّقت أم لم تتحقّق، تأخّرت أم لم تتأخّرْ، والدّعاء من الغيبيّات لذا لا يمكن أن ندرك علم الله، ولايُمكنُ أنْ نعرف زمن ومكان وكيفية قبول الدّعاء، ثمّ لا ندري هل في قبولها خيٌر أم شرّ لنا. والأنبياء كذلك تعرّضوا إلى ذلك فالرّسول (ص) دعى في حادثة الإفك لمْ يُستجاب له إلاّ بعد مرور زمن وقد قيل شهرٌ، وهذه الحادثة قد تتبين لأوّل وهلة كشر، ولكنّهُ خيرٌ لهم أو قد تكون إبتلاء لهم، فيقول الله تعالى (إنّ الذين جاؤا بالإفك عُصبةٌ منكم لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خيرٌ لكم لكلّ إمرئٍ منهم ما إكتسب من الإثم) وفي هزيمة معركة الأحد، بالرّغم من الدّعاء لم يتحقّق النّصر (ونبلوكم بالشّر والخير فتنةً وإلينا تُرجعون) . وإبتلاء أخر للصحابة (وإتّقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة وإعلموا أنّ الله شديد العقاب) هذه الآية نزلَت في أهل بَدْر خَاصّة، وأصابَتهم يَوْم الجَمل فاقتتلوا. والنبي إبراهيم دعى ربّه ليغفر والده آزر، والنّبي نوح دعى ربّه لإبنه وزوجته والنبي لوط دعى لزوجته ليغفر لهم فلم يُستجاب دعائهم، وزوجة آل عمران (أمّ مريم) دعت بإنجاب الولد فرُزقت ببنت...وإلخ . والذي لم يُقبل دعاءهُ قد يكون عدا الأسباب التي ذكرناه العيب والعلّة فيه وفي نفسه وفي إيمانه وليست اللّوم والعلّة في الدّعاء، ويمكن أن نثبتْ ذلك بحادثة لطيفة (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال إسقه عسلاً فسقاه فقال إني سقيته فلم يزده إلاّ استطلاقاً فقال صدق الله وكذب بطنِ أخيك) رواه بخاريّ، وبقول أحد مُريدي الشيخ لشيخه: لقد قرأتَ دعاءاً مأثوراً لإمرأة فتقبل اللهُ لكَ وعندما قرأتُ أنا نفس الدُّعاء مراراً وتكراراً فلم يتقبل ذلك ما سبب ذلك؟ فأجابه الشّيخ إنّني إلى أن وصلتُ إلى درجة قبول الدّعاء لقد حرّمتُ على نفسي ثلاثين سنةً من أكل الحرام والنُّطق بالحرام فإذا فعلتَ ذلك سوف يستجيبُ الله لك دعائك إن شاء الله تعالى. وأخيراً أقول لمن تكالبَت عليه الهموم والغموم، وضاقت عليه الأرضُ بما رحُبت، أينَ أنت من سؤال الله، أينَ أنتَ من سؤال الله ورجائه؟! ويا مَن أرهقته الأمراضُ وأغرقته الديون، أين أنتَ من دعاء الغنيّ الكريم؟! ويا مَن أثقلته المعاصي والذنوب، أينَ أنتَ من غافر الذنب وقابل التّوب؟! ويا مَن غشيَه الخَوف والقلق، تطلّعْ إلى السّماء فعند الله الفرَج، والإجابةُ مَع الدّعاء، سواء كانت عاجلةً أو آجلة، قال عمر رضي الله عنه: (إنّي لا أحمل همّ الإجابة، وإنّما أحمل همّ الدّعاء، فإذا ألهمتُ الدّعاءَ فالإجابة معه) وأقول أيضاً وأنْ لا تبالي في وسوسة الإنس والشّيطان وأنْ لاتغفل في الدّعاء فإنْ شاء الله سوف تتحقّق لك كل مرادك وطلبك.

شروط وآداب الدّعاء وأدعية الأنبياء والقصص العجيبة

شروط وآداب الدّعاء :

ينبغي للمسلم أن يتعلّمها تأدُّباً مع ربّه، وتقرّباً لإجابة دعائه وطلبه.

١. عدم إشراك الغير مع الله وتوحيده في الدّعاء أوفي القصد والطلب والوسيلة، عندئذ تكون الدّعاء عبادة عظيمة.

٢. أن يكون مطعم الدّاعي ومشربهُ وملبسهُ زمسكنهُ وكلّ ما معهُ حلال، بدليل سورة المؤمنون آية ٥١، وسورة البقرة آية ١٧٢.

٣. إستفتاحُ الدّعاء بالحمد والثناء على الله بما هو أهلُه والصلاة والسلامُ على خاتَمِ أنبيائه ورسله محمّد (ص)، وأختتم أيضاً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

٤. الاستغفار والإقرارُ بالذنب والاعتراف بالنّعم، مع التوبة والبعد عن المعاصي.

٥. وأنْ لا يقنُط من رحمة الله ، لأنّه العبدَ يدعو ربًّا رحيماً كريماً.

٦. إستقبال القبلة مع الطّهارة الجيّدة.

٧. اليقين في استجابة الله للدعاء مع الإيمان المطلق، أي التّصديق بها باللّسان والقبول بالقلب، رافعاً يدَيك لله سبحانه وتلبّي ما تُريد جازماً ومصرّاً في المسألة عازماً ملحّاً في الدّعاء متحيّناً أوقاتَ الإجابة قالَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ (لا يزيد في العُمر إلاّ البرُّ ولا يرُدُّ القدَرَ إلاّ الدُّعاءُ وَإنّ الرّجُل ليحرَمُ الرّزق بخَطيئَةٍ يعمَلُها) رواه إبن ماجة.

٨. يدعو لردّ المظالم، وأن لا يدعوَ بإثم ولا قطيعة رحم، ولا يعتديَ في الدّعاء لحقّوق الأخرين. أنظر الأعراف ٥٥. علماً أنّ الرّسول (ص) لم يدعو على الأشخاص، ولكن أجاز بعض الفقهاء ذلك لأجل دفع الضّرر الأكبر على المجتمع.

٩. تكون بعد الوضوء وصلاة الرّكعتين مع قول (اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد (ص) نبيّ الرّحمة، يامحمد إنّي أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي هذه ليقضيها لي، اللّهم فشفّعه فيّ وشفّعني فيه) رواه الترمذي والنّسائي وإبن ماجة .

١٠. كثرة الصّلوات الشّريفة على النّبي محمد (ص).

١١. يُجيب الله دعاء المضطر والسّائل. النمل ٦٢ . البقرة ١٨٦.

١٢. ترصد الأدعية للأوقات الشريفة، لأنّ في هذه الأوقات على الأكثر تفتح أبواب الرّحمة وترجى الدّعاء. ولقد ذكرنا الأوقات أعلاه.

١٣. ويُقبل أيضاً دعاء المسلم لأخيه المسلم، ودعاء الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر، ودعاء المظلوم، ودّعاء الغائب للغائب أي ليس معهُ في المدينة. (أعظم الدّعاء إجابةً دعاء غائب لغائب) رواه مسلم. (ما من رجُل يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاّ وكلَ اللهُ به مَلكاً كلّما دعا لأخيه بدعوة قال الملك الموكل به آمين ولك بمثله) صدق رسول الله.

١٤. عدم العجلة في الإستجابة.(يُستجاب لأحدكم ما لم يَعجلْ : يقول قد دعوتُ ربّي ، فلم يستجب لي) متفق عليه، (لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدّعُ بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجلْ) قيلَ: يا رسول الله ما الإستعجال ؟ قال : (يقولُ : دعوتُ، وقد دعوتُ، فلم أرَ مَنْ يستجيبُ لي ، فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدّعاءَ) رواه مسلم .

١٥. الإيمان بآية (لا يُسأل عما يفعل وهُم يُسألون) . مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقدر المستطاع حسب عمل وموقع الفرد.

١٦. الإخلاص والابتهال إلى الله تعالى والتملّق إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، (وَلله الأسمَاءُ الحُسنى فَادعُوه بهَا) .

١٧. التضرع والخشوع والرغبة والرهبة والإنكسار بين يدي الله تعالى، وكذلك الدعاء في الرّخاء والشدة، وأيضاً من السّنة تكرارها ثلاثاً.

١٨. بعد التّمسك بالشّروط وبأقوى الأسباب، وكذلك التّرصّد للأوقات الشريفة، وما عليك إلاّ أنْ تتّوكل عليه وأن لا تعترض عليه وتسوء الظّن عند تأخره أو عند عدم قبوله. ودعاء النّاس عقب وفاة الميّت، وعند المصيبة، وعند مجالس الذّكر، وكذلك عند التّأمين وعند رفع الرّأس من الرّكوع وقول (ربّنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه)، ودعاء الإمام العادل والمضطر ونحو ذلك.

نماذج سلوكية

د. يوسف عثمان محمد

أبو الدرداء

روى ابن الجوزي في صفة الصفوة اختلافًا في اسمه فقيل عويمر بن زيد ، وقيل ابن عامر ، وروى أبو نعيم في الحلية و ابن الجوزي في صفة الصفوة أن يزيد بن معاوية خطب إلى أبي الدرداء ابنته الدرداء فرده ، فخطبها رجل من ضعفاء المسلمين فزوجه ، فتحدث الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده ، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه ، فقال أبو الدرداء : إني نظرت للدرداء ، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان ؟ ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها ؟ أين دينها منها يومئذ ؟

١- في سلوك أبي الدراء رضي الله عنه هذا تطبيق عملي لقوله صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، ... فقد خاف رضي الله عنه على ابنته أن تفتنها الدنيا عن دينها .

٢- وفيه نظرة بعيدة وترجيح للخير الآجل في يوم المعاد على زينة الحياة الدنيا .

٣- وفيه وزن للمصالح بميزان دقيق ، ونظرة للدنيا بمنظار قويم .

فهل نعود لهذه الأنماط من السلوك ، فنستحضر توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم عند اتخاذ القرارات ، وننظر إلى خير الآخرة فنؤثره على الزخرف الفاني ، ونزن الأمور بميزان الله الدقيق القويم ، ليس ذلك على الله بعزيز ، فنسأله الإعانة على صدق التوجه